

## الجمال والقيم الفنية في فكر زكي نجيب محمود

### Beauty and Artistic Values in the thought of Zaki Naguib Mahmoud

ثامر زروقي

المركز الجامعي أفلو (الجزائر) ، thamerdz2012@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/03/31

تاريخ القبول: 2021/09/18

تاريخ الاستلام: 2021/06/01

#### ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان ماهية القيم الجمالية والفنية عند المفكر "زكي نجيب محمود"، وكيف أنه يقر بنسبيتها، وعدم ثباتها، في مواجهة الإتجاهات اللاهوتية التي كانت تقول بالقيم المطلقة، وقد استند في رؤيته هذه على تحليل العبارات الجمالية والأخلاقية، والتي رآها تعبيراً عن انفعال، وأن الشخص هو الذي يضيف على الشيء قيمته الجمالية بناءً على رغبته، ولا وجود لشيء جميل في ذاته. الكلمات المفتاحية: القيم الجمالية، الفن، العلم، النسبية، الدين، الذاتية.

#### ABSTRACT:

This study aims to explain what the aesthetic and artistic values of the thinker "Zaki Naguib Mahmoud" are, and how he acknowledges their relativity, and their inconsistency, in the face of theological trends that used to say absolute values. And that the person is the one who bestows on a thing its aesthetic value according to his desire, and that there is nothing beautiful in itself.

**Keywords:** Aesthetic values, Art, Science, Relativism, Religion, Subjectivity

#### 1- مقدمة:

إن مشكلة الجمال والقيم الفنية من المشكلات الفلسفية والقضايا الأدبية، المتجذرة في الفكر الإنساني عبر التاريخ، فأراء الباحثين والفلاسفة حول مسألة ماهية الفن والقيم الجمالية متباينة. من حيث أنها تخضع لعلاقات عديدة متشابكة، يتدخل فيها ماهو ذاتي، وماهو موضوعي، المادي والمعنوي، الحسي والمجرد. هذا ماجعل المفكرين والدراسين يقفون مواقف مختلفة متسائلين عن حقيقتها، فترقوا إلى شيع ومذاهب عديده، فالبعض حضر القيم الفنية و الجمالية فيما هو ذاتي له صلة بالجانب الشعوري للإنسان. والبعض الآخر ربط وزاوج بين الذات والموضوع في نظرتة للجمال والفن، بينما الفريق الثالث جعل إهتمامه في الفن والجمال الطبيعي.

من هذا المنطلق نرى أن الجمال إتخذ منحى زاده تطورا وإتساعا في الخطابين الفلسفي والأدبي، حيث نجد المفكر "زكي نجيب محمود" من بين الباحثين المعاصرين، الذين أرادوا من خلال دراستهم توضيح هذه المسألة، لذلك يمكن صياغة الإشكالية على النحو الآتي: ماهو موقف زكي نجيب محمود من مسألة القيم الجمالية والفنية؟ ما طبيعة الجمال والفن عنده؟ وهل قضايا الجمال والفن موافقة لقضايا العلم؟ وهل المسائل الجمالية والفنية نسبية أم موضوعية؟ ولحل هذه المسألة إتبعنا في هذه الدراسة المتواضعة المنهج التحليلي النقدي.

- المؤلف المرسل: ثامر زروقي

doi: 10.34118/ssj.v16i1.1833

<http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj/article/view/1833>

ISSN: 1112 - 6752

رقم الإيداع القانوني: 66 - 2006

ISSN: 2602 - 6090

## 2- ضبط مفهوم الجمال لغة وإصطلاحاً:

### 1-2 ضبط معنى الجمال لغة:

قد جاء في كتاب "لسان العرب" أن الجمال مصدر الجميل، والفعل جمل أي الجمال هو الحسن، (ابن منظور، 1988، صفحة 503) وعندما نقول جمل الشيء: إذا جمعه بعد تفرق. وأجمل: أي إعتدل وإستقام. فالجمال: هو الحسن يكون في الخلق والخلق كما جاء في قوله تعالى: "وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ" قران كريم، سورة النحل، الآية 06. وقال ابن الاثير: الجمال يقع على الصورة واللمعان: ومنه الحديث الشريف: "ان الله جميل يحب الجمال" (الإمام مسلم، 2010، صفحة 93)، أي حسن الافعال كامل الأوصاف الحسن: وهو ضد القبح ونقيضه. ويقال امرأة جملاء وجميلة" وقيل: فهي جملاء كبدر طالع بدت الخلق جميعاً بالجمال وتجمال الرجل: تزين " (الزبيدي، محمد مرتضى، 1984، الصفحات 263-264)، والجمال بالضم والتشديد أجمل من الجميل، وجملة: أزينه. والتجميل: تكلف الجميل. وقال أبو زيد: جمل الله عليك تجميلاً، إذا دعوت له أن يجعله الله جميلاً حسناً. وجاء في موسوعة لالاند: "ان جمالي: صفة ما يتعلق بالجمال بنحو خاص يطلق إنفعال جمالي على حالة فريدة مماثلة للسرور والمتعة للشعور الأخلاقي، لكنها لاتنعدم مع أي منها، ويكون تحليلها موضوعاً للجماليات كعلم" (لالاند أندريه، 2001، صفحة 367). ويقال حكم جمالي على الحكم التقويبي الذي يدور حول الجمال" (لالاند أندريه، 2001، صفحة 367)، وجماليات: "وهو علم موضوعه الحكم التقويبي الذي ينطبق على التفريق بين الجميل والبشع" (Porteous, 1996, p. 2). ويعرف الجمال في قاموس "وبستر" بأنه: "المجال الذي يتعامل مع وصف الظواهر الفنية والخبرة الجمالية وتفسيرها". (قطب محمد، 1983، صفحة 85) فالجمال مصدر يدل على الحسن والزينة والبهاء.

### 2-2 ضبط معنى الجمال إصطلاحاً:

عرف الجمال من الناحية الإصطلاحية بالعديد من التعريفات منها: أنه كل ماترتاح إليه النفس، ويحس به الوجدان، لكنه إحساس متفاوت، تفاوت ملكة الذوق "عند الأشخاص وبالتالي" الجمال صفة متحققة في الأشياء وسمة بارزة من سمات هذا الوجود، تحسه النفوس وتدركه بدهاء. " (شلق علي، 1982، صفحة 50) والجمال يتجلى في الأشياء بنسب متباينة، بحكم حركته وتحوله فهو "ظاهرة ديناميكية متطورة، وتقديره يختلف من شخص إلى آخر، ومن لحظة إلى أخرى.

ويعرف "أفلاطون" الجمال: "ظاهرة موضوعية، لها وجودها، سواء يشعر بها الإنسان أم لم يشعر، فهو مجموعة خصائص إذا توفرت في الجميل عد جميلاً، وإذا إمتنعت عن الشيء بحسب مدى اشتراكه في مثال الجمال خالداً" (إسماعيل عزالدين، 1974، صفحة 37)، نرى أن أفلاطون يربط عالم الواقع بعالم المثل حيث يخضع الفن للمثالية ويبعده عن العقل وهنا من نقطة اختلافه مع تلميذه أرسطو الذي جعل العقل مقياساً للجمال ويجعل من الجمال مبدءاً منظماً في الفن.

وكذلك يعرف "أفلاطون" الجمال في محاوره هيبياس الأكبر بقوله على لسان سقراط "أن الجمال ليس صفة خاصة بمائة أو ألف شيء فلا شك في أن الناس والحياد والملابس والعدراء والقيتارة كلها أشياء جميلة غير انه يوجد فوقها جميعاً الجمال نفسه". (هوسيمان دنيس، 2015، صفحة 113)، فالنظرة الأفلاطونية تعتبر الجمال حقيقة علوية ميتافيزيقية تدرکہا الروح لا الحواس في حين أن الفن يمكنه أن يكمل النقص الموجود في الطبيعة أو يخلق الجديد خاصة "إذا تمتع الفنان بروح شفافة تجعله يحسن محاكاة الطبيعة وبالتالي يقترب من إدراك الجمال المطلق". (هوسيمان دنيس، 2015، صفحة 41)

بينما يرى "أرسطو" ليس "أن الكائن الحي العاقل الذي يضيف شيئاً إلى الطبيعة أو يحاكي مثلاً موجوداً يرقى إلى الجمال وذلك ما عبر عنه في قوله "كل شيء في الوجود هو محاكاة لمثل لاتقع عليه العين، وكل عمل فني هو محاكاة لعمل جميل موجود أو متصور تقع عليه العين أو يجلو له الفكر أو يصوره له خياله، وليس جمال الحياة قائماً على جمال الموضوع فالجميل والقبيح من

مظاهر الطبيعة والحياة يمكن إن تمدا أهل الفن بموضوعاتهم، حتى يكون هناك جمال الجمال أو جمال القبح فيغدو الجميل أجمل مما هو، والقبيح أشد إثارة واشمئزاز. (الهاشم جوزيف، وآخرون، 1966، صفحة 11)

يتضح مما قاله "أرسطو" أن الفن هو محاكاة لمثال موجود في الطبيعة إلا أن هذه المحاكاة لاتعني النقل الحرفي بل الفنان يتجاوز ويتمم النقص الموجود في الطبيعة بفضل عبقريته وأفكاره. ويعرف أوغسطين وتوما الإكوبيني الجمال بأنه "يدخل السرور والبهجة في النفس عندما يرى، وهو مظهر متغير للجمال الأعلى الخالد، الله الذي هو مصدر كل جمال، وما الطبيعة إلا وجه لفنه العظيم" (شلق علي، 1982، صفحة 53). فالجمال هنا ذو طبيعة ذاتية من خصوصيات النفس البشرية يبعث على الارتياح والسرور.

وعرف المفكر الألماني "إيمانويل كانط" الجمال على أنه "يمتدح دون غاية ليرد على الحسيين ويمتدح دون مفهومات ليرد على الفكريين وكان يفرق بين نوعين من الجمال: الجمال الحر والجمال بالتبعية" (شلق علي، 1982، صفحة 55). رغم التباين الموجود حول ضبط مفهوم الجمال إلا أننا نستخلص أنه ظاهرة ظهرت وتطورت بتطور الإنسان، وتنبع من ذات الفنان لتكون حقيقة موضوعية مجسدة في العالم الخارجي.

### 3- القيم الجمالية وقضايا العلم:

رفض المفكر "زكي نجيب محمود" دخول القيم التي تتحدث عن الجمال ضمن مجال قضايا العلم، لأن العبارة التي تتحدث عن القيم الجمالية: "جملة تعبيرية، لا تزيد على كونها تعبيراً عما في نفس القائل من شعور ذاتي خاص به" (محمود زكي نجيب، 1987، صفحة 114)، كما أنها جمل تعبر عن رغبات وميول ذاتية، لذلك لاوجود لجمال موضوعي قابل للإدراك الحسي، حيث يضرب مثالا يوضح به ذلك: "فأنا حين أنظر إلى الوردة مثلا وأقول عنها إنها جميلة فالذي أراه هو بقعة من اللون ذات شكل معين لها أبعاد معينة يمكن قياسها ويمكن رسمها على الورق، لكنني لن أرى في الوردة عنصرا اسمه جمال، وإذن فوصفي لها بهذه الصفة هو شئ أضيفه لها من عندي، وإن شئت الدقة فقل هو وصف لشعوري إزاءها لاوصف لها". (محمود زكي نجيب، 1987، صفحة 111) لكن هذا لايعني أنه لم يحلل هذه العبارات، بل فعل ليبين أن صفة الجمال غير موضوعية في الأشياء التي توصف به، وليرد على أولئك الذين يعتقدون أن الجمال صفة توجد خارج ذات المتكلم به أي في الأشياء، ويمكن تحديدها بذكر عنصر الجمال فيها كاللون بالنسبة للشفق واللفظ المنظم بالنسبة للشعر، وهنا يسجل المفكر "زكي نجيب محمود" أن إختلاف هذا العنصر من شئ جميل لآخر دليل على أن الجمالية ليست صفة موضوعية لأنها تحضر في شئ وتغيب في آخر (محمود زكي نجيب، 1980، صفحة 110)، بل معيار الوحدة العضوية وتناغم الأجزاء وإتساقها ليسا معيارين موضوعيين كما يظن، لأن الإنسان يخلعهما على الأشياء، حيث يقول في ذلك: "فهل تكون هذه الوحدة العضوية قائمة في الشئ أم أنها صفة نخلعها عليه نحن حين ننظر إليه من وجهة نظر تجعله بالنسبة إلينا كائنا ذا وحدة عضوية؟ لماذا يكون التماثل، وإذن يكون التماثل في البناء جميلا لأن نظرة الإنسان الخاصة هي التي جعلته كذلك" (محمود زكي نجيب، 1980، صفحة 111). ليصل للحكم التالي: "إن كلمة جميل ومايدور مدارها من كلمات، لاتشير إلى شئ قائم في عالم الأشياء الخارجية، بل تشير إلى حالة نفسية يحسها قائلها، فليس في الشفق الجميل إلا سحب مصبوغ بألوان يمكن تحديدها بأطوال موجاتها الضوئية، وإنما الجمال فيها هو من نفس رائئها" (محمود زكي نجيب، 1980، صفحة 108). وما دام التحليل لا يكون إلا من خلال بيان الصورة المنطقية للقضايا، فقد حاول التعامل مع القضايا المالية من هذه الناحية ليبين منطقيا أنها لاتخبر عن شئ خارجي بل تعبر عن شعور داخلي، فقولنا: "الوردة جميلة" يمكن تحليلها أولا بلفت الإنتباه إلى أن كلمة "وردة" لفظ عام لا يشير إلى مسمى واحد بعينه، وبالتالي فهي رمز مجهول جاز لنا تعويضه ب(س) لنحصل على القضية التالية: "(س) جميلة". لكن لفظة "جميلة" لاتعني أنها صفة موضوعية موجودة في الوردة بل هي شعور ذاتي أشعر به تجاه الوردة بذلك جاز

ترجمة هذه الجملة إلى: "هنالك علاقة بيني وبين" س" وهذه العلاقة القبول والرضى ". وما دام أن لفظة "وردة" اسم كلي يمكن ترجمة العبارة التي ترد فيها إلى "س لها عندي قيمة" وهذه يمكن تحويلها إلى عبارة أخرى هي: "س" تشبع من رغباتي أكثر مما تند. (محمود زكي نجيب، 1987، صفحة 117)

ومنه يتبين أنني لأصف بل أعبّر عن شعور ذاتي، لهذا فتجاوز "التركيب النحوي إلى التحليل المنطقي ليكفيها أنفسنا كثير جدا من الخطأ" (محمود زكي نجيب، 1987، صفحة 124)، أي يجنبنا الإعراف بموضوعية الجمال، وبالتالي سيتعامل مع العبارات الجمالية كجمل ذاتية إنفعالية.

ويضيف إلى ذلك معياراً آخر لكي يبين من خلاله أن القضايا التي يرد فيها الحديث عن قيم جمالية أنها بدون معنى، وهذا المعيار هو محاولة تحويل هذه العبارات إلى عمل يؤدي، لذلك سيتضح لك أنك لاتعرف نوع العمل الواجب القيام به لتعرف أن هذا جميل أم لا بقوله: "وإذن فهاتان الكلمتان لاتدلان على شئ إطلاقاً لمجرد أنهما لاتدلان على سلوك محدد واضح، يعمل ليتبين به المعنى المراد، ومن ذلك ترى أن كل مناقشة في هل هذا الشئ خيراً أو ليس خيراً، جميل أو ليس جميلاً لن تؤدي إلى نتيجة لأنها كلمات ليست دالة على سلوك وبالتالي ليست دالة على معنى" (محمود زكي نجيب، 1987، صفحة 123). وإستمرار منه لدحض التصور القائل بالوجود الموضوعي لقيمة الجمال، يذكرنا بالتضليل الذي تمارسه اللغة، حيث توجي بثبات الأشياء رغم أنها تتغير وتتبدل، فنحن نطلق إسماً واحداً على الأشياء كثيرة، أو على شئ واحد رغم أن هذا الأخير قد يغير، بل تضلها يوصلنا إلى الإعتقاد بالوجود الموضوعي لأشياء لاوجود لها إلا داخلنا مثل الجمال حيث يقول: "فنحن نألف في التعبير باللغة عن الأشياء، أن نذكر إسماً معيناً يشير إلى شئ قائم بذاته، ثابتاً في معناه حتى وإن طرأت عليه تغيرات مع تغير الأحداث، ومن ينشأ في تصورنا جانبان: الجمال في ثبات طبيعته من ناحية، والتغيرات التي تطرأ مع تغير الأشياء المنسوبة إليه من ناحية أخرى، ولما كانت طبيعة اللغة في ذاتها تقسم الموضوع الواحد الموحد أقساماً بحكم انقسام الكلمات فالوردة الجميلة كائن موحد، لكن اللغة بحكم الضرورة تجعل للوردة كلمة، ولجمالها كلمة أخرى، فسرعان ماتظن نحن أن هنالك شيئين: وردة وجمالاً، وكما نقول عن شجرة أنها نامية، ونحسب أن الشجرة شئ وأن نموها شئ آخر" (محمود زكي نجيب، 1993، صفحة 32)، وبهذا يكون قد بدد كل إعتقاد بوجود موضوعي لقيمة الجمال. ومع ذلك لا يجب أن نفهم أن المفكر "زكي نجيب محمود" رافضاً للجمال وعدوله، بل على العكس من ذلك فقد كان صاحب حس جمالي وتذوق أدبي جعلاه ينتسب إلى لجنة الشعر التي يرأسها "العقاد"، لهذا حاول في مواطن كثيرة من كتبه تحديد الجمال ليقول عنه في أحدها: "الجمال يتمثل في دقة النسب في الشكل الذي يبني ليسري المضمون في قوائمه" (نجيب، 2005، صفحة 240)، وهنا يبدو لنا إنتقال المفكر "زكي نجيب محمود" من اللغة الشارحة إلى اللغة الشبئية في حديثه عن الجمال.

#### 4- الفلسفة والشعر والقيم الجمالية:

رغم إستبعاد المفكر "زكي نجيب محمود" للقيم الجمالية من دائرة المقبولة منطقياً، وأخرجها من دائرة البحث الفلسفي، بالتفريق بين الفلسفة والشعر، فقال عن الأولى أنها "خطاب يقول الحق خالصاً لاجمال فيه" (محمود زكي نجيب، 1988، صفحة 53)، لأنها فكر وذكاء ومنطق وتحليل، بينما الشعر "يصوغ الجمال خالصاً لاحق فيه" (محمود زكي نجيب، 1988، صفحة 53)، لأنه فرع من الفنون، إلا أنه لم يخرج الفن من الدائرة الإنسانية تماماً، حيث علق على مقاله كاتب إنجليزي هو "توماس بيكوك" -الذي وصف الشاعر بأنه إنسان همجي (بدائي) يعيش في عصر المدنية والعلم لكن خياله وخواطره في عصر آخر أقل- بقوله: "هكذا يقال عن الأدب الآن كأنه عرض من أعراض الحياة، لايمسها في الجوهر الصميم، والواقع أننا حين ننزل عن الأدب وسائر الفنون، فإننا ننزل عن نفوسنا لأن هذه وتلك شئ واحد اختلفت أو ضاعه" (محمود زكي نجيب، 1983، صفحة 288)، فالتصور الوضعي للفن كما عبر عنه "أوغست كونت" المؤسس الأول للفكر الوضعي. الذي إعتبر الفن "نظام تعبيرية" قائلاً

عنه: "ملكة التعبير تتبع دائما لضرورة الوظيفة التصويرية والتركيبية" (comte Auguste, 1853, p. 290) لهذا جمع مفكرنا "زكي نجيب محمود" بين اللغة والفن، وهذا راجع لتصوره للغة ذاتها حيث يقول عنها: "فليست اللغة هي مجرد مجموعة من رموز صماء جرداء تقضي للناس شؤونهم في دنيا التبادل والتعامل، بل هي كذلك في الوقت نفسه، "فن" فيه تعبير عبور ماهو في نفس المتكلم لكي يظهر للآخرين نطقا مسموعا أو لفظا مكتوبا" (محمود زكي نجيب، 1985، صفحة 247)، وهذا ما يبينه فيلسوفنا بكيفية أكثر وضوحا، منطلقا من فكرة توظيف واستخدام اللغة، فعندما تستخدم الكلمة خارج غرض التفاهم الذي يربطه بالدلالة على الأشياء التي إتفق عليها الناس تنحرف لأغراض لاعلاقة لها بالوظيفة الإشارية، وهنا تنشأ الأغراض الفنية والوجدانية. ولذلك يفقد الكلام قيمته المعرفية، الأمر الذي يجعل اللغة تؤدي دورا يشبع خيل وأوهام صاحبه، ولا عيب في ذلك بشرط أن يعي الإنسان أنه كذلك: "فعندئذ يؤخذ الكلام من زاويته الفنية من حيث استثارته لضرب من المشاعر أحسها المتكلم وأراد أن يثير مثلها في نفس سامعه" (محمود زكي نجيب، 1980، صفحة 92). فالشعر (وهو نموذج للفن) ينقل اللغة من طبيعتها الأصلية إلى طبيعة ثانية، فبدل أن تكون وسيلة لتشير وتسمي غيرها تصير غاية في ذاتها: "فأما هذه الطبيعة ثانية، فهي أن نقف عند حد الأداة اللغوية ذاتها، لاننفذ منها إلى شئ وراءها، فليست هي في هذه مستخدمة لتنوب عن أشياء أخرى سواها، بل هي عندئذ تطلب لذاتها والشعر هو هذه الحالة الثانية" (محمود زكي نجيب، 1988، الصفحات 132-133)، حتى وإن وجد تطابق بين ما يرد في الشعر والواقع فهو غير مباشر، لأن المراد من ذلك أن ينصرف الذهن إلى العالم الداخلي لا إلى المعاني الظاهرة (محمود زكي نجيب، 1988، صفحة 133). ورغم تعلق الكلام بالشعر إلا أن الفكرة تصدق على الفنون الأخرى التي تعتمد اللغة. ومنه فكلمات اللغة تتحول إلى مادة خام لصناعة فنية، وهذا ما يفعله "الكاتب" الذي لا يكون كذلك إلا إذا كانت صناعته اللغة حيث يقول عنه: "على أن الكاتب - إلى جانب الرسالة الفكرية التي يوجهها إلى قرائه- هو كذلك بالطبع "صانع" ومادة صناعته هي اللغة، إنه فنان تشكيلي بالإضافة إلى كونه كذلك فنان تعبيريا، لأنه جانب دعوته الفكرية يعني بتشكيل اللفظ كما يعنى المصور بتشكيل اللون، وكما يعنى سائر العاملين بتشكيل الخشب والمعدن والزجاج وغيرها، وهو كأني صانع ماهر، يتمنى لصناعته أن تدوم دوام الدهر، فدوام البقاء هو من أخص خصائص الجمال الفني" (محمود زكي نجيب، 1993م، صفحة 300) وهذا ما جعله يعتبر الثقافة العربية خاصة القديمة، خير ما يعبر عن التوظيف الفني للغة، فالعربي لا يختلط لوجود تعارض بين الذات والموضوع لهذا يستعيز عن الأشياء باللغة، فيؤثر بذلك العيش في عالم الرموز التي يبتكرها، ولكي يثبت مفكرنا "زكي نجيب محمود" ذلك يلجأ إلى الفن الإسلامي حيث إنه: "هندسي يقيم أشكاله من خطوط وزوايا ومربعات ومثلثات ودوائر، إنه لا يرسم كائنات الطبيعة وأشياءها لأن هذه كائنات لا تمتزج بنفسه، ولا العربي الفنان يسعى إلى مزج نفسه بها إنه إعلان من الفنان العربي بإنفصال ذاته إنفصالا تاما عن الأرض وكائناتها" (محمود زكي نجيب، 1987، صفحة 248)، فالفن هنا مثل اللغة رموز، إلا أنه يزيد خاصية أخرى وهي كونه مستقلا عن عالم الأشياء مكتفي بذاته. الأمر الذي يجعله يتعامل مع الفنون خاصة الشعر كلغة، لأن هذا الأخير أثبت قدرته على القبض على المشاعر الإنسانية، وهذا ما يمكنه من إبراز ضغط الظروف والأحوال وعبث الأقدار بالإنسان وتقلب مشاعر هذا الخير بين الشعور بالعظمة تارة والتفاهة تارة أخرى، واليقين مرة والشك أخرى، ولكن الشعر لا يفلح في ذلك إلا إذا اعتمد طريقا معيناً هي: "التعبير بالصور تعبيرا غير مباشر عما يراد الإيحاء به من معاني دون التصريح الوعظي المباشر السخيف، وكتشخيص الحقائق الكونية العامة في خبرات نفسية جزئية محددة هي الخبرات التي تميز تجربة الشاعر نفسه دون تملق أو كذب أورياء" (محمود زكي نجيب، 1988، صفحة 82). وهنا نلمس قناعاته الوضعية التي تنفر من التعميمات العقلية التي تقفز على النماذج الجزئية الخاصة فالمعول عليه دائما هو الوجود العيني المشخص، لكن الذي يضمن الطابع الفني للشعر هي اللغة مادامت هذه الأخيرة مجرد رموز، لكن تركيب هذه الرموز في الشعر يجب أن يتم وفق بناء خاص كثيرا ما يفشل الشعر الحديث فيه عندما يمعن في التلاعب بالألفاظ والأبنية الشعرية من وزن وقافية: "فمن ذا

الذي يماري في أن الشعر هو قبل كل شيء فن لفظي، يستخدم الألفاظ لذواتها قبل أن يستخدمها لما تعنيه؟ فإذا فات الشاعر أن يصوغ وعاء اللفظ فلن يبقى الكثير من فنه حتى إذا بقي له أغزر مضمون شعوري وأخصبه، وأين يصب الخمر إذا لم تكن كأس؟ وأين تشيع الحياة إذا لم يكن بدن؟ وأين يتبدى الخالق إذا لم يكن كون منظور مسموع؟ وقل هذا وأكثر منه في فن الشعر، فإذا لم يكن لفظ بارع جيد مختار فلا شعر مهما يكن من أمر الخصائص الأخرى" (محمود زكي نجيب، 1988، صفحة 84). لكن ماذا عن النحت والتمثيل والرسم. فهذه الأخيرة لا تستخدم اللغة، إلا أن المفكر "زكي نجيب محمود" يتعامل معها مثل الفنون التي توظف اللغة، حيث يعتمد لما نطلق عليه اليوم بالتحليل السيميائي، فيعتبر اللوحة الفنية مثلاً علامة ورمزاً لقيمة خفية أراد الفنان تبليغها، حيث يذكر زيارته وهو طالب لمتحف الفنون، إذ إستوقفته لوحة فقال يصف ذلك: "وهناك وقفنا أمام لوحة لامرأة لطخت وجهها بالأصباغ في غير ذوق، وعلق الأستاذ على اللوحة قائلاً: ربما كان هذا هو الجمال عند الفنان، فأعترضته بقولي: لا أظن ذلك بل لعله أراد للمشاهد أن يتفرز فينفر من البغايا، لأن هذه طريقتهم في التجميل" (محمود زكي نجيب، 1993م، صفحة 321). يلزم من هذا أن الفن خال من أي مضمون معرفي موضوعي، بل هو صرف للغة عن غايتها الإشارية المعرفية، على أن لا يفهم من هذا إدانة الفن وإنقاص قيمته، بل هو من قبيل تسمية الأشياء بمسمياتها ليس إلا.

إن الفن يفقد قيمته لو حاول الفنان محاكاة العالم، أي أن يأتي إبداعه عاماً مستقلاً عن الأفراد والزمان والمكان، فهذا التعميم ينافي خصيصة الفن -حسب وجهة نظر المفكر "زكي نجيب محمود"- وتفردته، لذلك علق عن الشاعر الفنان أو الأديب القصاص قائلاً: "إنه لا يكفي أن يتكلم عن الحب بصفة عامة. فهذا من شأن علم النفس لامن شأن الفنان، فعالم النفس هو الذي يتكلم عن هذه العاطفة "بصفة عامة" أي يتكلم عنها كما تبدو آثارها عند هذا الفرد من الناس. وهذا وذاك في كل زمان وكل مكان هذا التعميم في الأحكام يكون علماً ولا يكون فناً ولا أدباً" (محمود زكي نجيب، 1981، الصفحات 89-90). وهذا الرأي يخدم تقسيم المفكر "زكي نجيب محمود" الكلمات إلى أسماء أعلام، وأسماء كلية، وكلمات منطقية بنائية، وكلمات دالة على القيم، وهنا يدخل كل ما يقال عن الجمال والفن في هذا الصنف إذ يقول: "وبقي أن نحدثك عن ضرب رابع من الكلمات التي تدل على قيمة جمالية، أو بصفة عامة، الكلمات التي تدل على أن في المتكلم انفعالا من نوع معين، لكنها لا تشير إلى كائن خارجي" (محمود زكي نجيب، 1980، صفحة 108). وخير ما يثبت به "زكي نجيب" وجهة نظره لغة الشعر، ففيها وزن وقافية يسمحان بالتعبير عن العواطف لأنها أحد المشاعر الإنسانية وأقواها، لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل: "طبيعة الوزن تبعد اللغة إلى حد ما عن حقيقتها، فتبدو القصيدة لذلك في مجموعها وكأن فيها ما يحمل قارئها بعض الشيء على أن يلمس فيها وجوداً موهوماً لا حقيقة له" (محمود زكي نجيب، 1981، صفحة 37)، أي لغة الشعر تخلق عالماً وهمياً يقابل العالم الحقيقي. لأن الفن المتحرر من الواقع والمغرق في الخيال يشكل "عالم اللامعقول" الذي منشأه الأدب وشرطه أن: "لا تسلسل فيه بين علة ومعلول، بل لا ارتباط فيه بين لفظ ومعنى، وينشئ فناً لا يعني شيئاً خارج حدود ذاته". (محمود زكي نجيب، 1967، صفحة 111)

##### 5- معيار الأثر الفني عند "زكي نجيب محمود":

يجعل المفكر "زكي نجيب محمود" من الإشارة إلى الخبرة الوجدانية معياراً يعرف به فنية الأثر الأدبي قصيدة كانت أو غيرها، أما المعيار الثاني فهو ترابط أجزاء الأثر الفني لتشكيل بناء واحد فريداً مادام يعبر عن كائن واحد فريد، لهذا فالأدب يفقد قيمته الفنية لو تجاهل هذا الطابع الفردي، وحاول أن يبرز ما هو عام لأن ذلك حسب وجهة نظر المفكر "زكي نجيب محمود" سينقله إلى العلم؟، إذ يقول: "ولو وقف الرائي عند أوجه الشبه التي تجمع الأفراد في مجموعة واحدة، كان أقرب إلى العالم وأبعد عن الأديب" (محمود زكي نجيب، 1981، صفحة 6). وتوافقاً مع قناعته الفلسفية الوجودية إعتبر الفن هو: "التقاط موقف فرد مما يعج به العالم من حولنا" (محمود زكي نجيب، 1972، صفحة 164)، فالذرية المنطقية التي قال بها "برتراند رسل" لاقت قبولاً من أنصار

الوضعية، بحيث لا يرى هؤلاء في العالم إلا أشياء جزئية مترابط فيما بينها بعلاقات مختلفة، وهذا ما اعتنقه الفيلسوف "زكي نجيب محمود" وحمله حتى في مجال الفن، لأن أوسع معنى له هو: "أن ينظر الإنسان إلى الوجود الخارجي نظرة ذاتية مباشرة كأنما ذلك الوجود خطرة من خطرات نفسه أو نبضه من نبضات قلبه" (محمود زكي نجيب، 1972، صفحة 178)، هذا التفرد في الفن سينعكس على النقد الفني عموماً والأدبي بالخصوص حيث يطالب المفكر "زكي نجيب محمود" من الناقد أن يقيم الفن على هذا الأساس، أي ينظر هل استطاع الفنان أن يتلقف تلك اللحظات الفريدة فيعرضها بكيفية فريدة؟، حيث يقول: "هي بصدد قصيدة تضمها شاعرها يعبر بها عاطفة الحب عنده، فأنظر إلى أي حد قد تفردت العاطفة التي تعبر عنها بحيث أصبحت كائناً وحدها قائمة بذاتها، لا تشاركها لحظة أخرى من لحظات الحب...". (محمود زكي نجيب، 1981، صفحة 89) وهذا مادفع بفيلسوفنا إلى إعتبار الفن مجالاً واسعاً يسمح للإنسان أن يبرز ذاته ويسقطها إسقاطاً كاملاً متجاوزاً للطبيعة، بحيث لا يحاكيها كما هي، وخير ما يجسد ذلك الموسيقى: "فالموسيقى بحكم طبيعتها لا تلتزم أن تحيى تشكيلاتها الصوتية محاكية لأي بناء صوتي في الطبيعة" (محمود زكي نجيب، 1967، صفحة 106)، كما استطاع ذلك النحت والتصوير "الرسم"، إلا أن الشعر بسبب إرتباطه بالألفاظ ومدلولاتها وهذه الأخيرة رغم أنها من وضع الإنسان وتواضعه مع غيره علمياً، إلا أن الإستعمال يحكمها مما يقيد حرية الشاعر وقدرته، لهذا قال: "وهكذا ينبغي للشعر أن يجدد نفسه كيف شاء على ألا ينسى أن مادته من لفظ، وأن اللفظ صنعه الناس جميعاً وقد صنع اللفظ ليرمز أو يشير، لا ليكون صوتاً بلا دلالة فيألى هنا فالشاعر مقيد ملتزم" (محمود زكي نجيب، 1967، صفحة 107). وهذا لأن مفكرنا "زكي نجيب محمود" يتحفظ بشأن الشعر الحر الذي يلجأ إلى الرمز والألغاز ويستخدم الألفاظ بكيفية غير مألوفة ومخالفة للعادة، لهذا إنتقده فرغم إشادته بانفتاحه على التجربة الإنسانية، رأى أن فيه عيباً ينقص من قيمته ذكره في النص التالي: "هو عندي أهم جوانب النقص جميعاً، وأعني به ضعف البناء اللفظي، فمن ذا الذي يماري فالشعر هو قبل كل شئ فن لفظي، يستخدم الألفاظ لدواتها قبل أن يستخدمها لما تعنيه؟ فإذا فات الشاعر أن يسوغ وعاء اللفظ فليس يبقى له الكثير من فنه حتى إذا بقي له أغزر مضمون شعوري وأخصبه". (محمود زكي نجيب، 1967، صفحة 342).

#### 6- خاتمة:

نصل في الأخير من طرحنا لإشكالية "القيم الجمالية والفنية عند زكي نجيب محمود" إلى النتائج الآتية:  
 أولاً/ بين لنا المفكر "زكي نجيب محمود"، أن العبارات التي تتحدث عن الجمال أو الخير والقيم بصفة عامة، توضع في زمرة الميتافيزيقا، لأنها خالية من المعنى، ولا تصلح أن تكون علماً أو جزءاً من علم. وإن المعنى لا بد أن يكون منصّباً على شيء موجود في الخارج (خارج الإنسان) ويمكن رصده بواسطة الحواس أو بأجهزة مساعدة لها. أما العالم « لآخر فيه ولا جمال، بمعنى أنه ليس من بين أشياءه شيء اسمه خير، وشئ اسمه جمال؛ فالجمال لا يمكن أن يكون علماً، أو جزءاً من علم بناء على خلو كلمة "جمال" من المعنى "فالإنسان تعلمه الخبرة وتنشئه التربية على أن يحب شيئاً ويكره شيئاً، ومن هنا يكون ما أحبه خيراً وما كرهه شراً أو يكون ما يحبه، جميلاً وما يكرهه قبيحاً، والشئ يكون خيراً أو شراً، جميلاً أو قبيحاً، حسب ما نراه في الشئ من خير أو جمال أو غير ذلك. ويقول أيضاً: « الجملة الأخلاقية أو الجمالية ليست بذات معنى، لأنها لا تشير إلى عمل يمكن أدائه للتحقق من صدق معناها المزعوم، ولا تكون الجملة بذات معنى إلا إذا أمكن تحويلها إلى عمل، فكل جملة لا تدلّك بذاتها على ما يمكن عمله، بحيث يكون هذا العمل هو معناها الذي لا معنى لها سواه تكون صوتاً فارغاً، مهما قالت لنا القواميس عن معانيها. فالفكرة الواضحة هي ما يمكن ترجمتها إلى سلوك، وما لا يمكن ترجمته على هذا النحو لا ينبغي أن نقول عنه إنه فكرة غامضة، بل ليس هو بالفكرة على الإطلاق. ويؤكد المفكر "زكي نجيب محمود" - مستعيناً بوجهة نظر النظرية الإنفعالية، التي تسوّى بين الجمال والخير « في أن كليهما معتمد على الذات المدركة، لاعلى صفة الشئ المدرك. وهذا لا يلغى وجود القيم في العالم - كما يرى البعض على حد تعبيره - وإنما

يعنى أن القيم يجب أن توضع في موضعها الصحيح، فلا تناقض بين أن يكون التقدير ذاتيًا، وبين أن نعزّز به. فالفن - في رأيه - ليس له معنى، ولا ينبغي أن يكون له، إلا إذا أراد صاحبه أن يجعل منه مسخًا بين العلم والفن؛ فينتهي به إلى شيء لا هو إلى هذا ولا هو إلى ذلك. بل ولا يكون الفن فنًا إذا أعاد ما هو قائم بالفعل ولم يأت بخلق جديد، كما أن دنيا الفن لم تنشأ لتزودنا بنسخة أخرى من دنيا الواقع، وإلا لكان الفن عبثًا وباطلاً. كما أن مهمة الفنان ليست في نقل الحوادث الواقعة بذاتها، بل عمله هو أن يلتقط الصورة من حوادث الواقع ثم يصب فيها ما شاء من مادة. وبهذا يكشف عن جوهر العالم الحقيقي، لأن جوهر هذا العالم هو الصور التي تنصب فيها الحوادث.

ثانياً/ إن الموقف الجمالي الذي يجب أن يعيشه المتلقى للعمل الفني عند المفكر "زكي نجيب محمود" إنما يعنى أن العمل الفني يتم تلقيه في ذاته، دون الرجوع إلى شيء خارجه. وإذا كان تقويم العمل الفني يجب أن يتم عبر وسائط فنية، فإن هذا لا يعنى أن الفن ينعزل تمامًا عن مبدعه، أو عن الواقع الاجتماعي، وليس بالضرورة معناه تجاهل الفنان لكل ما يدور حوله من حوادث ومواقف سياسية واجتماعية، واقتصادية.. وغيرها.

ثالثاً/ إن المفكر "زكي نجيب محمود" يقر بنسبية القيم، وعدم ثباتها، في مواجهة الاتجاهات اللاهوتية التي كانت تقول بالقيم المطلقة، وقد استند في رؤيته هذه على تحليل العبارات الجمالية والأخلاقية، والتي رآها تعبيرًا عن انفعال، وأن الشخص هو الذى يضيف على الشيء قيمته الجمالية بناءً على رغبته، ولا وجود لشيء جميل في ذاته، وكان ذلك اتساقاً مع رؤيته الفلسفية العامة. رابعاً/ يؤكد المفكر "زكي نجيب محمود" على أن العبارة الجمالية لا تحمل معنى، أى لا تشير إلى شيء يمكن إدراكه بالحواس، بل هى تعبير عن انفعال الشخص في مواجهة الموضوع، ولذا فإننا لا نستطيع الوصول إلى تعميم، أو إلى مساءلة الشخص في موقفه. خامساً/ يعتقد المفكر "زكي نجيب محمود" أن الفن بصفة عامة والشعر بصفة خاصة، يعنى ما يعنيه بالإيحاء لا بالتوجه المباشر، فقد توحى إليك قصيدة شعر بما توحى، فى الأخلاق وفى غير الأخلاق، على أنها فى الوقت نفسه قد توحى لغيرك بمعنى آخر، دون أن يكون أحدهما حجة على الآخر، فمفكرنا يقول بنسبية القيم خاصة (الجمالية)، ويرفض التجديد فى الشعر، رغم قوله بالثورة فى العلم والقطيعة بين الماضى والحاضر. وأن الفن لا يكون فنًا إذا أعاد ما هو قائم. وأن عالم الفن عالم قائم بذاته.



- قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم  
السنة النبوية الشريفة  
ابن منظور. (1988). لسان العرب. بيروت، لبنان: دار الجيل.  
إسماعيل عز الدين. (1974). الأسس الجمالية في النقد العربي. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.  
الإمام مسلم. (2010). صحيح مسلم. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.  
الزيدي، محمد مرتضى. (1984). تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد 7، الكويت. طبعة الكويت.  
شلق علي. (1982). الفن والجمال. بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات.  
قطب محمد. (1983). منهج الفن الإسلامي. بيروت، لبنان: دار الشروق.  
لالاند أندريه. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية. (خليل أحمد خليل، المترجمون) بيروت، لبنان: منشورات عويدات.  
محمود زكي نجيب. (1967). وجهة نظر. القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.  
محمود زكي نجيب. (1972). قصة عقل. القاهرة، مصر: دار الشروق.  
محمود زكي نجيب. (1980). نحو فلسفة علمية. القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.  
محمود زكي نجيب. (1981). قشور و لباب. القاهرة، مصر: دار الشروق.  
محمود زكي نجيب. (1983). شروق من الغرب. القاهرة، مصر: دار الشروق.  
محمود زكي نجيب. (1985). في مفترق الطرق. القاهرة، مصر: دار الشروق.  
محمود زكي نجيب. (1987). تجديد الفكر العربي. القاهرة، مصر: دار الشروق.  
محمود زكي نجيب. (1987). موقف من الميتافيزيقا. القاهرة، مصر: دار الشروق.  
محمود زكي نجيب. (1988). مع الشعراء. القاهرة، مصر: دار الشروق.  
محمود زكي نجيب. (1993). في تحديث الثقافة العربية. القاهرة، مصر: دار الشروق.  
محمود زكي نجيب. (1993 م). مجتمع جديد أو الكارثة. القاهرة، مصر: دار الشروق.  
محمود زكي نجيب. (2005). حصاد السنين. القاهرة، مصر: دار الشروق.  
الهاشم جوزيف، وآخرون. (1966). المفيد في الأدب العربي. بيروت، لبنان: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر.  
هوسيمان دنيس. (2015). علم الجمال (الاستطيقا). (اميرة حلمي مطر، المترجمون) القاهرة، مصر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية (المركز القومي للترجمة).

comte Auguste. (1853). système de philosophie positive. paris, france: carilian –goeury.

Porteous. (1996). Environmental Aesthetics ideas. London: Politics and Planning.